صادق حسن زاده

كنز العرفان

تعريب

الشيخ أحمد سامي وهبي

دار الولاء
للطباعة والنشر والتوزيع

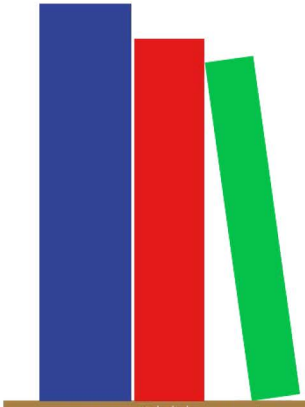

مكتبة
مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه.

(الإمام الصادق (ع)

moamenquraish.blogspot.com

كنز العرفان

الكتاب كنز العرفان
تأليف صادق حسن زاده
تعريب الشيخ أحمد سامي وهبي
الناشر دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع
الطبعة الاولى - شباط ٢٠٠١م - ١٤٢١هـ

جميع الحقوق محفوظة ©

كنز العرفان

الرسالة الأولى: "زاد السالك"

العالم الرباني المحدث الفيض الكاشاني

الرسالة الثانية: "رواية عنوان البصري"

عن الإمام الصادق عليه السلام

مع توضيح العلامة السيد محمد حسين الطهراني (رحمه الله)

الرسالة الثالثة: "سير وسلوك"

العلامة المرحوم السيد حسين القزويني

الرسالة الرابعة: "سير وسلوك"

العلامة حسن حسن زادة الآملي

دار الولاء
للطباعة والنشر والتوزيع

مقدمة المترجم

من المشاكل الأساسية التي نعاني منها في هذا الزمن، ومنذ سنوات مديدة، نسيان الروح والحياة، الروحية، والمعنوية، ظناً من كثير من الناس أن الاهتمام بهذا الجانب من الحياة، الذي هو الأهم يحرم الانسان من العيش في دنياه سعيداً، ومن أن يتنعم بما رزقه الله اياه من متاع الحياة الدنيا. وهذا خطأ كبير أدى الى كثير من المفاسد، والمآسي التي نزلت بالإنسانية جمعاء.

إن الاهتمام بالجانب الروحي الانساني يفتح للانسان آفاقاً واسعة رحبة لا حدود لها، إلاّ كنه الذات الإلهية؛ فإن الانسان هو خليفة الله على الأرض، الذي أعطاه الله كل ما يستحق معه أن يكون خليفته. ليحيط بكل العوالم النازلة من المقام الإلهي. «لولاك لما خلقت الأفلاك».

بإحياء عالم الروح، وعلومها يستطيع الانسان أن ينال من المراتب والمنازل ما يحصّل معه سعادة الدنيا والآخرة، وسعادة المجتمع الانساني كله. إنما يحتاج الانسان الى سلوك هذا السبيل، وخوض هذه التجربة قبل الحكم عليها، وتذوق هذا الرحيق قبل رفضه.

هذه الرسالة الصغيرة المسماة كنز العرفان، هي كبيرة بمحتواها،

حيث اختصرت الطريق كله ببعض عناوين يمكن حفظها، أو حملها والاستفادة منها يومياً. ومراجعتها دائماً. وليست لمجرد القراءة، حيث أنها يمكن أن تقرأ في وقت قصير جداً.

هي درس لي أقدمه لإخواني المؤمنين، عسى أن ينفعنا الله بها فهو الغفور الرحيم.

المترجم

مقدمة

هذا الكتاب مشتمل على عدة رسائل قيمة، جميعها له تأثير عجيب في السير والسلوك المعنوي.

الرسالة الأولى: «زاد السالك» للمحدث المعروف العالم الرباني محسن الفيض الكاشاني «قدس سره». رسالة «زاد السالك» المصحَّحة على أساس نُسخ المسجد الأعظم الخطية الثلاث. وقد أخذنا أيضاً بعين الاعتبار نسخة المرحوم العلامة الأرموي القيمة النادرة جداً.

الملا محسن الفيض الكاشاني عالم مُكْثِرٌ، فاليوم هناك عشرات من كتب الحديث، والكتب الأخلاقية، والاعتقادية، والعرفانية، والأدبية، وغيرها بقيت تذكاراً له تروي عطش المشتاقين للعلم، والعرفان، والفقه، والحديث.

كتب العلامة السيد محمد حسين الطهراني في الفيض الكاشاني: «... أما الفيض الذي هو أشهر من الشمس، كتابه «المحجة البيضاء» الذي كتبه في «إحياء علوم الدين هو من أنفس كتب الشيعة.. العلامة الطباطبائي، كان يرى أفضلها (الكتب الأخلاقية) في المطولات كتاب «إحياء الإحياء» تأليف الملا محسن الفيض الكاشاني».

الملا محسن الفيض كان أبرز تلامذة الفيلسوف المشهور الملا صدرا الشيرازي، وصهره. وكلاهما يعدان من مفاخر عالم التشيع.

الرسالة الثانية: «**رواية عنوان البصري**» عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، التي كانت محط أنظار العرفاء. وبالأخص العارف المعروف العلامة علي القاضي، الذي كان يوصي كثيراً بقراءتها والعمل بها. قام بتوضيح هذه الرسالة آية الله السيد محمد حسين الطهراني (رحمه الله)، ونحن ننقلها من كتابه القيّم «الروح المجرد».

الرسالة الثالثة: «**سير وسلوك**» العلامة السيد حسين القزويني، من علماء القرن الثاني عشر البارزين. هذه الرسالة صُحِّحت، وحُقِّقَت من قبل الأستاذ الكريم آية الله أستادي.

الرسالة الرابعة: «سير وسلوك» العلامة حسن زادة الآملي، انتخبت من كتاب «رسائل وبرامج».

قم ـ صادق حسن زادة.

خريف عام ١٣٧٧هـ.ش.

الرسالة الأولى

زاد السالك

الفيض الكاشاني (رحمه الله)

أهمية كتاب: «زاد السالك»

بنظر العلامة السيد الكبير محمد حسين الطهراني (رحمه الله)

«عندما رأيت نسخة من هذا الكتاب، ونظرت في محتوياته، أثّر فيَّ إلى حد أنني لم أكتفِ بمطالعته مرة واحدة، فلخصت نسخة منه بشكل فهرست في صفحة واحدة؛ لأستفيد أنا وعائلتي دائماً من مطالعة مضامينها الحقةً، والعمل بقوانينها الشرعية.

نقلاً عن العلامة المحدث الأرموي (رحمه الله).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الحَمْدُ للهِ على عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾[١].

أما بعد! هذه الرسالة المسمَّاة «زاد السالك» كتبت في جواب سؤال أحد الأخوة العلماء، الذي سأل عن كيفية سلوك طريق الحق.

اعلم ـ أيّدك الله بروح منه ـ أنه كما أن السفر الصوري له مبدأ، ومنتهى، ومسافة، ومسير، وزاد وراحلة، ورفيق، ومرشد؛ كذلك السفر المعنوي الذي هو سفر الروح الى الحق ـ سبحانه وتعالى ـ يحتوي على ذلك كله. مبدؤه الجهل، والنقصان الطبيعي، الذي أحضره الانسان معه من بطن أمه، ﴿واللَّهُ أخرجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾[٢]. ومنتهاه الكمال الحقيقي الذي هو فوق كل الكمالات، وهو الوصول الى الحق ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿وإنَّ إلَى رَبِّكَ المُنْتَهَى﴾[٣]؛ ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاَقِيهِ﴾[٤].

ومسافة الطريق في هذا السفر المراتب العلمية، والروح تطويها شيئاً فشيئاً، كلما سارت على صراط الشرع المستقيم، الذي هو طريق

(١) سورة النمل، الآية ٥٩.
(٢) سورة النمل، الآية ٧٨.
(٣) سورة النجم، الآية ٤٢.
(٤) سورة الانشقاق، الآية ٦.

الأولياء، والأصفياء ﴿وإنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ ولاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[١]. هذه الكمالات مترتبة بعضها على بعض، فما لم يعبر الكمال المتقدم، لا يستطاع الوصول للمتأخر.

منازل هذا السفر الصفات الحميدة، والأخلاق الصالحة، التي هي أحوال ومقامات الروح، تنتقل من واحدٍ الى الآخر فوقه بالتدرج.

المنزل الأول: هو «اليقظة».

والمنزل الآخر: هو «التوحيد»، الذي هو المقصد الأقصى لهذا السفر. تفاصيل هذه المنازل، ودرجاتها مذكورة في كتاب «منازل السائرين»[٢].

ومسير هذا السفر السعي التام، والجهد البليغ، والهمة العالية في قطع هذه المنازل؛ بالمجاهدة، ورياضة النفس بحمل أعباء التكاليف الشرعية، من الفرائض، والسنن، والآداب؛ ومراقبة ومحاسبة النفس آناً فآناً، ولحظةً بلحظةً، وتوحيد الهموم، والانقطاع الى الحق ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾[٣]، ﴿وَالذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[٤].

وزاد هذا السفر «التقوى»، ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَقْوَى﴾[٥]. والتقوى عبارة عن القيام بما أمر الشارع به، والابتعاد عمّا نهى عنه،

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٣.
(٢) للعارف المتعبد عبد الله الانصاري. (المتوفى سنة ٤٨١هـ.ق) هرات.
(٣) سورة المزمل، الآية ٨ التبتل الانقطاع.
(٤) سورة العنكبوت، الآية ٢٩.
(٥) سورة البقرة، الآية ١٩٧.

عن بصيرة: لكي يستعدّ القلب لفيض المعرفة، بنور الشرع، وصقل التكاليف. ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ**﴾[١].

كما أن المسافر الصوري ما لم يحصّل قوة البدن من الزاد، لا يستطيع أن يقطع الطريق؛ كذلك المسافر المعنوي ما لم يقم بتطهير ظاهره، وباطنه بالتقوى، والطهارة الشرعية، ويقوّي الروح بها، فلن تفيض عليه العلوم، والمعارف، والأخلاق الحميدة المترتبة على التقوى، والتقوى تحصل منها ـ لا على سبيل الدور ـ.

ومَثَلُ هذا الشخص مثلُ من يحمل مصباحاً في ليل مظلم، ويرى الطريق بنوره، كلما خطا خطوةً يضيء قسماً من الطريق، ويسير عليه، وهكذا؛ وإذا لم يتقدم خطوةً، فلن يضيء الطريق، وما لم يضيء، فلن يستطيع السير. فالرؤية هي بمنزلة المعرفة، والسير بمنزلة العمل، والتقوى.

«**مَنْ يَعملْ بِمَا عَلِمَ أوْرَثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، العِلْمُ يهْتِفُ بالْعَمَل، فَإنْ أجَابَهُ، وإلاَّ ارْتَحَلَ، لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلاً إلاَّ بِمَعْرِفَةَ، وَلاَ مَعْرِفَةَ إلاَّ بِعَمَل، فَمَنْ عَرَفَ دلَّتْهُ المَعْرِفَةُ عَلَى العَمَل، وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ فَلاَ مَعْرِفَةَ لَهُ، أَلاَ إنَّ الإيمَانَ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ**»[٢]. كما أن من لا يعرف الطريق في السفر الصوري، فلن يصل الى المقصد.

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨٢، الخواجة نصير الدين الطوسي يقول: التقوى الابتعاد عن المعاصي خوفاً من غضب الله تعالى والابتعاد عنه... وبالحقيقة التقوى مركبة من ثلاثة أشياء: الأول الخوف، والثاني اجتناب من المعاصي، والثالث طلب القربة...

(٢) الكافي ١ ـ ٤٤، «باب من عمل بغير علم»، الحديث الثان؛ باب استعمال العلم الحديث الثاني.

«العَامِلُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ كالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ، لا يَزِيدُهُ كَثْرَةُ السَيرِ إلاَّ بُعْدَاً»[1].

والراحلة في هذا السفر هي البدن، وقواه. وكما أنه في السفر الصوري إذا كانت الراحلة ضعيفةً، ومريضةً، فلن يستطاع قطع الطريق، كذلك في هذا السفر ما لم يكن البدن صحيحاً وقوياً، فلن يستطاع القيام بأي عمل؛ ولهذا كان تحصيل المعاش ضرورياً، وما كان لأجل الضرورة فيجب أن يكون بقدر الضرورة. فطلب الفضول في المعاش مانع من السلوك، والدنيا المذمومة التي حذروا منها هي ذلك الفضول، الذي هو وبال على صاحبه. أما مِقدار الضرورةِ منه، فهو داخل في أمور الآخرة، وتحصيلُه عبادة. وكما أن الراحلة لا تطوي الطريق ما دامت تسوم، كذلك في هذا السفر إذا ترك البدن وقواه لتفعل كل ما هو مشتهاها، ولا تُقَيَّدُ بالآداب، والسنن الشرعية، ولا يؤخذ لجامها باليد، فإنها لن تقطع طريق الحق.

ورفاق هذا الطريق هم العلماء، والصلحاء، والعباد السالكون، الذين يعاونون بعضهم، فالشخص لا يطلع على عيبه بسرعة، ولكنه يعرف بسرعةٍ عيب غيره. فإذا توافق عدد من الأشخاص، وعرَّفوا بعضهم، على العيوب، والآفات، فإن الطريق ستطوى بسرعة، ويأمنون على دينهم من اللصوص المضلين. **«الشَّيْطانُ إلى المُنْفَرِدِ أَقْرَبُ مِنْهُ إلى الجَمَاعَةِ»**، و**﴿يَدُ اللَّهِ مَعَ الجَمَاعَةِ﴾**[2]، إذا خرج أحدهم عن الطريق يرشده الآخر. أما إذا كان وحيداً، فهيهات أن يعرف خطائه.

---

(١) الكافي ١ ـ ٤٣. «باب من عمل بغير علم». الحديث الأول.

(٢) «المعجم الكبير». الطبراني. ١ ـ ١٨٦.

ومرشد هذا الطريق النبي ﷺ، وسائر الأئمة المعصومين عليهم السلام، الذين دلّوا على الطريق، ووضعوا سنناً، وآداباً وبيّنوا مصالح، ومفاسد الطريق، وسلكوه هم أنفسهم، وأمروا الأمة بالتأسي، والاقتداء ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيْ رَسُوْلِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[١]، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِيْ يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ﴾[٢].

الوصية بخمسة وعشرين أصلاً في بناء النفس

الأول

المحافظة على الصلوات الخمس: أي أداؤها في أول الوقت وبالجماعة، والسنن والآداب. فإذا أخّرها المرء بدون علّة وعذر عن أول الوقت، أو لم يحضر الجماعة، أو ترك سنة من سننها، أو أدباً من آدابها ولو نادراً، فقد خرج عن سلوك الطريق، وتساوى مع سائر العوام الذين يهيمون، وفي بيداء الجهل، والضلال يسيمون، غافلين عن الطريق، والمقصد، ولا يرتقون أبداً[٣].

الثاني

المحافظة على صلاة الجمعة، والعيدين، والآيات مع اجتماع

---

(١) سورة الأحزاب. الآية ٢١.

(٢) سورة آل عمران. الآية ٣١.

(٣) ينقل المرحوم العلامة الطباطبائي. وآية الله بهجت عن المرحوم السيد القاضي قد سره أنه قال: من صلّى صلاته الواجبة أول الوقت ولم يصل الى المقامات العالية فليلعنّي. أول الوقت سر عظيم «حافظوا على الصلوات». وهو أمر «أقيموا الصلاة...» من كتاب «در محضر بزركان» (في محضر الأشراف). ص٩٩.

الشرائط، إلاّ مع العذر المسقط، فمن ترك الجمعة ثلاثة أسابيع متواليةٍ بدون علّة، يصدأ قلبه، ولا يعود قابلاً للاصلاح[١].

الثالث

المحافظة على الصلاة المعهودة، والرواتب اليومية. فقد عدّوا تركها معصية، إلا أربع ركعات من نافلة العصر، وركعتين من نافلة المغرب، والوتيرة التي يجوز تركها بدون عذر.

الرابع

المحافظة على صوم شهر رمضان، وتكميله بأن يمنع لسانه عن اللغو، والغيبة، والكذب، والفحش، ونحوه؛ وسائر الأعضاء عن الظلم، والخيانة، وأن تمنع من الفطور على الحرام، والشبهة أكثر من سائر الأيام.

الخامس

المحافظة على صوم السُنَّة، الذي هو صوم الأيام الثلاثة المعهودة من كل شهر، التي تعادل صوم الدهر، وأن لا يتركه بدون عذر، فإذا تركه، يقضيه، أو يتصدّق بمدّ من الطعام[٢].

السادس

المحافظة على الزكاة حيث لا يجوز التأخير، والتواني إلاّ عن عذر، مثل فقد المستحق، أو انتظار أفضل المستحقين، ونحوه.

---

(١) الشيخ الصدوق، ثواب الأعمال، ص٢٧٦، الحديث الثاني.

(٢) اعلم أنه من جملة السنن المؤكدة التي واظب الرسول عليها حتى فارق الدنيا، صوم ثلاثة أيام في كل شهر، والموافق للمشهور الخميس الأول من الشهر، والخميس الآخر، والأربعاء الأول من العشرة وسط الشهر، العلامة المجلسي، زاد المعاد، ص٤٦٤، الباب العاشر.

السابع

المحافظة على انفاق الحق المعلوم من المال، بأن يحدد ما يعطيه في كل يوم، أو في كل أسبوع، أو في كل شهر للسائل، أو المحروم بالقدر المناسب، بحيث لا يخل به، وإذا لم يُطْلِعْ أحداً عليه كان أفضل ﴿وَالَّذِينَ فِيْ أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُوْمٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُوْمِ﴾[1] وفي الحديث أنه غير الزكاة.

الثامن

المحافظة على «حِجَّةِ الإسلام» بحيث يأتي بها في سنة الوجوب، ولا يؤخرها بدون عذر.

التاسع

زيارة القبور المقدسة للنبي ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام، خصوصاً الإمام الحسين عليه السلام، ففي الحديث أن زيارة الحسين عليه السلام فرض على كل مؤمن، ومن تركها، ترك حقاً لله والرسول ﷺ[2]. وفي حديث آخر أنَّ لكل إمام عهد في أعناق أوليائه، وشيعته، ومن الوفاء بالعهد زيارة قبورهم[3].

العاشر

المحافظة على حقوق الأخوان، وقضاء حوائجهم، فقد ورد التأكيد البالغ عليها، بل قدّمت على أكثر الفرائض[4].

---

(١) سورة المعارج، الآية ٢٤.

(٢) كامل الزيارات، ص١٣١، الباب ٤٣.

(٣) نفس المصدر، ولمزيد من الايضاح يرجع الى كتاب الخصائص الحسينية، للشيخ جعفر التستري.

(٤) ميزان الحكمة، ١ ـ ٧٠٠، كلمة (حاجة).

الحادي عشر

تدارك ما فات من المذكورات ـ مهما أمكن ـ عندما ينتبه.

الثاني عشر

أن يزيل من نفسه الأخلاق المذمومة مثل: الكبر، والبخل، والحسد، ونحوها، بالرياضة، والمخالفة للنفس، والتخلّي والأخلاق الحسنة مثل: حسن الخلق، والسخاء، والصبر، وغيرها.

الثالث عشر

ترك الأمور المنهي عنها كلِّها، وإذا فُعل معصية ولو نادراً، فليتدارك بسرعة بالاستغفار، والتوبة، والإنابة؛ كي يكون محبوباً للحق. **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾**[1]، **﴿وَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ كُلَّ مُفْتَنٍّ تَوَّابٍ﴾**[2].

الرابع عشر

ترك الشبهات الموجبة للوقوع في المحرمات. قالوا: كل من ترك أدباً، حرم من سنَّة، وكل من ترك سنَّةً حرم من فريضة.

الخامس عشر

عدم الخوض فيما لا يعنيه، فإن ذلك موجب لقساوة القلب، والخسران، في الحديث: «**مَنْ طَلَبَ مَا لاَ يَعْنِيهِ، فَإِنَّهُ مَا يَعْنِيهِ**»[3]. وإذا صدر ذلك منه غفلةً، فليتدارك بعد التنبُّه بالاستغفار، والإنابة **﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا، فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ،**

---

(١) سورة البقرة. الآية ٢٢٢.

(٢) الكافي ج٢. ص٤٣٢. المحجة البيضاء. ج٧. ص٩. مروياً عن الامام الصادق عليه السلام في كليهما.

(٣) نهج البلاغة. الحكمة ٣٤٩. الكافي. ج٢ ص٢٢٨.

﴿وَإِخْوَانُهُم يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ﴾[١]. وما لم يترك مجالسة البطّالين، والمغتابين، والذين يمضون أيامهم باللغو، ويترك ما لا يعنيه، فإن ذلك يوجب قسوة القلب، والغفلة، وتضييع الوقت أكثر من أي شيء آخر.

السادس عشر

أن يجعل شعاره قلة الطعام، والمنام، والكلام، فإن هذا الأمر له ارتباط تام بإنارة القلب.

السابع عشر

أن يقرأ القرآن كل يوم، بتدبّر، وتأمل، وخضوع وأقله خمسون آية، وإذا كان بعضُه في الصلاة، كان أفضل[٢].

الثامن عشر

أن يجعل مقداراً من الأذكار ورداً له في أوقات معينة، خصوصاً بعد صلوات الفريضة. وإذا استطاع فَلْيَشغِل لسانه في أكثر الأوقات بذكر الحق (تعالى) ـ وإن كانت جوارحه مستغرقة في أعمال أخرى ـ فنعم السعادة!.

نقل عن الامام محمد الباقر عليه السلام، أنَّ لسانه المبارك كان يترنم في أكثر الأوقات بكلمة «**لا إله إلاّ الله**» الطيبة، عندما كان يأكل، أو يتكلم، أو يسير، إلى غير ذلك[٣]؛ فهذا مساعد ومعين قويّ للسالك.

---

(١) سورة الاعراف، الآية ٢٠١ ـ ٢٠٢.

(٢) خاطب الامام الخميني (قدس سره) السيد أحمد الخميني فقال: «بُنَيّ، تعرّف على القرآن كتاب المعرفة العظيم، وافتح بقراءته طريقاً نحو المحبوب. ولا تتصور أن القراءة بدون معرفة لها أثر، فهذا وسوسة الشيطان. هذا الكتاب من المحبوب لك ولكل شخص، ورسالة المحبوب محبوبة، وإن كان العاشق والمحب لا يعرف مفادها.

(٣) العلامة المجلسي عين الحياة ج٢، ص٤٧٢، طبعة الاعتصام.

وإذا جعل الذكر القلبي مقارناً للذكر اللساني، فستظهر عليه فتوح كبيرة في مدةٍ قليلة، فليسعَ بقدر ما يستطيع أن يذكر الحق ـ تعالى ـ مع كل نَفَسٍ، كي لا يغفل عنه. فلا أمر يوازي هذا الشيء في السلوك. وهذا مساعدٌ قوى في تركِ مخالفِهِ الحق ـ سبحانه وتعالى ـ بالمعاصي.

التاسع عشر

صحبة العالم، وسؤاله، واستفادة العلوم الدينية منه بقدر الطاقة، وليسعَ بقدر ما يستطيع كي يزيد علماً على علمه: «**أَكْيَسُ النَّاسِ مَنْ جَمَعَ عِلْمَ الياسِ الى علمِهِ**»[١]. وأن يعدَّ صحبة من هو أعلم منه فوزاً عظيماً. وإذا وجد عالماً يعمل بعلمه، فليلازم متابعته، ولا يخرج عن حكمه. فهذا الشخص هو الشيخ الذي يذكره الصوفية[٢].

العشرون

معاشرة الناس بحسن الخلق، والمداراة، كي لا يكون ثقيلاً على أحد[٣]. وأن يحمل أفعالهم على مَحملٍ حسن، ولا يظن ظنَّ السُّوء بأحد[٤].

الواحد والعشرون

أن يجعل شعاره الصدق في الأقوال، والأفعال.

---

(١) الطبرسي. مشكاة الأنوار، ط.دار الحديث، ص٢٤١، الحديث ٦٩٨.

(٢) آبادي معلم حبيب مكارم الآثار، ج٧، ص٦٢٩٨. ينقل العلامة الطباطبائي عن المرحوم القاضي بعد أن يقول أنه من عجائب الدهر، أنه يقول: إذا صرف الانسان نصف عمره في البحث عن الانسان الكامل، لكان مستحقاً لذلك.

(٣) الكافي ج٣، ص١٠٠.

(٤) أمالي الصدوق، ص٢٥٠.

الثاني والعشرون

التوكل على الحق في كل الأمور. وعدم النظر الى الأسباب[1]. والاجمال في طلب الرزق. وعدم بذل الجهد الكثير فيه، وترك الأمل البعيد فيه. والقناعة بالقليل بقدر الاستطاعة، وترك الفضول.

الثالث والعشرون

الصبر على جفاء الأهل. والأقرباء، وعدم الابتعاد عنهم بسرعة، وعدم إساءة الخلق معهم: فبقدر ما يزداد الجفاء، وتحمل البلاء أكثر، فسيكون الوصول إلى المراد أسرع.

الرابع والعشرون

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقدر الوسع، والطاقة. وأن يدعو الآخرين للخير، والاهتمام، والاشتراك معه في السلوك، إذا كانت لديه قوّة نفس. وإلاّ اجتنب صحبتهم مع المداراة، والتقية، كي لا يوجب ذلك العداوة.

الخامس والعشرون

تنظيم أوقاته، وتحديد وردٍ (ذكر) في كل وقت من الليل، والنهار يشتغل به، كي لا تضيع أوقاته، فكل وقت تابع للموقوت له، هذا الأمر أساسي في السلوك، وهذا ما وصلنا عن الأئمة عليهم السلام، وكانوا يعملون به، ويأمرون به غيرهم. أما الانزواء مدة أربعين يوماً، وعدم أكل الحيوان، والذكر المضروب بأربعة، وغير ذلك من المنقول عن الصوفية، فلم يرد عنهم عليهم السلام. والظاهر أن بعض المشايخ وجدوا أمثال ذلك مناسب لبعض

---

(١) العارفة المجتهدة السيدة أصفهاني، «السير والسلوك»، ص١٢١.

النفوس في سهولة السلوك، لذلك أمروا به. فمأخذ الاعتزال أربعين يوماً يمكن أن يكون الحديث: «**مَنْ أَخْلَصَ لِلّهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً، ظَهَرَتْ يَنَابِيْعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ**»[١]، ومستند ترك أكل الحيوان: «**لاَ تَجْعَلُوا بُطُونَكُمْ مَقَابِرَ الحَيَوَانَاتِ**» ونحو ذلك[٢].

لا شك أن قلّة أكل اللحم، والعزلة، وفراغ البال، والتوجه التام للذكر له ارتباط كامل بتنوير القلب، ولكن بشرط أن لا يمنع «الجمعة» و«الجماعة».

ومن الأمور الأساسية «الحرية» من شوائب الطبيعة، ووساوس العادة، وتقاليد العامة؛ فليس هناك سد أمام السالك أعظم من هذه الأمور الثلاثة التي سماها بعض الحكماء رؤوس الشياطين، وكل قبيح يصدر من أحد، إذا نظرت جيداً، ستجد أنه ينتهي الى أحد هذه الثلاثة[٣].

أما شوائب الطبيعة فهي مثل: الشهرة، والغضب، وتوابعهما من حب المال، والجاه، وغيرهما. يقول تعالى: ﴿**تِلْكَ الدارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ، وَلاَ فَسَاداً...**﴾[٤].

وأما وساوس العادة فهي مثل: وساوس النفس الأمّارة، وتزيينها، والأعمال غير الصالحة بسبب التخيلات الفاسدة، والأوهام الكاذبة،

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٠، ص٢٤٩.

(٢) روى الكليني وغيره بأسانيد معتبرة عن الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام أن سيد الطعام اللحم، وبسند صحيح عن الصادق عليهم السلام أن من ترك اللحم أربعين صباحاً ساء خُلُقه، العلامة المجلسي، عين الحياة، دار الاعتصام، قم، ج١، ص٤٠٦.

(١) كتب الملا صدرا في هذه الأمور الثلاثة كتاب «الفصول الثلاثة»، والفيض الكاشاني كتاب «ضياء القلب».

(٢) سورة القصص، الآية ٨٣.

ولوازمها من الأخلاق الرذيلة، والملكات الذميمة. قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾[١].

أما تقاليد العامة فهي مثل: «إتباع الوحوش ذوي البدن الآدمي، وتقليد الجاهلين المتشبِّهين بالعلماء، والإستجابة لإغواء واستهواء شياطين الجن، والإنس، والغرور بخدعهم، وشبهاتهم. قال تعالى: ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنَ أَضَلاَّنَا مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ﴾[٢].

أما بعض الرسوم، والعادات في اللباس، ومعاشرة الناس المقررة في العرف، فيجب متابعة الجمهور بها، بحسب الظاهر، حتى لا ينالوا منه بسبب لباسه الصوفي، فالامتياز باعث علىٰ البعد والغيبة، إلاّ إذا كانت متابعتهم موجبة لمخالفة أمرٍ ديني في تركه ضرر على السلوك، عند ذلك لا تلزم المتابعة، إلاّ من بابٍ التقية، وأمثال هذه الأمور منوطة برأي الخبير بالزمان[٣].

الوصية الأخيرة

من ألزم نفسه بهذه الأمور الخمسة وعشرين المذكورة، وعمل بها بجدٍ ابتغاء وجه الله لا لغرض دنيوي عاجل، فإنه سيتكامل يوماً بعد يوم، حسناته ستزيد، وتغفر سيئاته، وترفع درجاته. فإن كان من أهل

---

(١) سورة الكهف. الآية ١٠٣ ـ ١٠٤.

(٢) سورة فصلت. الآية ٢٩.

(٣) يعد لباس الزهد غير المتعارف لباس شهرة. كما في رواية عن الامام الصادق عليه السلام عندما اعترض عليه شخص بسب لباسه الفاخر، الكافي، ج١، ص٤١١، الحديث الرابع. باب: سيرة الامام في نفسه.

العلم، أعني المسائل العلمية الإلهية عن أحوال المبدأ، والمعاد، ومعرفة النفس، وأمثال ذلك، وعرفها كما هو المطلوب الأقصى، وكان لديه اهتمام بمعرفتها، وكان أهلاً بفهمها، فإن معرفته ستزيد يوماً بعد يوم بإلهام الحق؛ بقدر الكسب الاستعدادي الذي يحصل لديه من العبادة، ومحادثة العلماء، ومواعظهم. فصفاء الباطن، والدعاء المستجاب، ونحو ذلك من الكمالات يجدها خلال سعيه، وتوجهه، ويحصل على القربى للحق ـ تعالى ـ، والمحبة، والنور.

والمحبة الكاملة، والنور الوافر هما من ثمار المعرفة. يصل الانسان أحياناً الى حدّ يشاهد أكثر أمور الآخرة في هذه النشأة، كما هو منقول عن حارثة بن نعمان[1] في «الكافي». يعبر الرسول ﷺ في هذه الرواية عن حالة حارثة بتعابير مثل: اللقاء، والوصول، والفداء في الله، والبقاء في الله.

هذه هي الغاية والغرض من إيجاد الخلق، كما في الحديث القدسي «**كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِياً، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ، فَخَلَقْتُ الخَلْقَ لِكَيْ أُعْرَفَ**»[2] وفي

---

(١) شاب وجده رسول الله ﷺ في المسجد أصفر الوجه غائر العينين، فسأله عن حاله، فأجابه أنه موقن يسمع صوت النار ويرى الموقف يوم القيامة. الكافي. ج٢ ـ ص٥٣، باب حقيقة الايمان واليقين. مطهري. مرتضى. قصص الأبرار. القصة رقم ٥٤.

(٢) يقول الامام الخميني (قدس سره): «اعلم أيها الطالب للحق والحقيقة!. إن الحق ـ تبارك وتعالى ـ بما أنه أوجد خلقة نظام الوجود. ومظاهر الغيب. والشهود. بحسب الحب الذاتي للمعروفية في حضرة الأسماء والصفات ـ بمقتضى الحديث الشريف: «كنت كنزاً مخفياً...». فقد أودع وأبدع في فطرة جميع الموجودات حب ذاتي، وعشق جبلي. فتوجه بتلك الجذبة الالهية. ونار العشق الرباني الى الكمال المطلق. وتكون طالبه وعاشقه للجميل على الاطلاق. الامام الخميني (قدس سره). آداب الصلاة. ص٢٨٨.

التنزيل ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[١]، قيل: أي ليعرفون، وإنما عبر عن المعرفة بالعبادة، لأنها لا تنفكّ عنها، وإنما عبر عن اللازم بالملزوم، لئلا يتوهم أن المقصود أيّة معرفة كانت، بل المعرفة الخاصة التي لا تحصل إلاّ من جهة العبادة.

فالمعرفة أنواع متعددة، وطرق كثيرة. وليس كل معرفة توجب القرب، والوصول، فأكثر العامة لديهم معرفة عن طريق التقليد. المتكلمون لديهم معرفة عن طريق الدلائل الجدلية التي تركّبت مقدماتها من المسلمات، والمقبولات، والمظنونات. والفلاسفة أيضاً لديهم معرفة عن طريق البراهين العقلية التي تركبت مقدماتها من اليقينيات ، ولا شيء من ذلك موجب للوصول والمحبَّة. فكل من حصلت معرفته عن طريق العبادة، فهو ثمرة شجرة الخلق، والمقصود من إيجاد العالم، والآخرون جميعهم هم طفيليات وجوده، ولخدمته.

ـ طفيليات عالم العشق الناسُ وجناحٌ.

ـ أظهرْ إرادةً لتنال سعادة[٢].

لهذا ورد في الحديث القدسي خطاباً للنبي ﷺ: «**لَوْلاَكَ لَمَا خَلَقْتُ الأَفْلاَكَ**»[٣]. فمن كان لديه همّة عالية، ويجد في نفسه جوهراً، فيجب أن يجتهد في تقريب نفسه إلى هذه المرتبة عن طريق العبودية، والعبادة، والتقوى، والطهارة.

ـ وإن كان وصاله لا يعطونه بالجهد.

---

(١) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

(٢) ديوان حافظ، ص٣١٥.

(٣) الرازي نجم الدين. مرصاد العباد، ص٣٧، الشهيد القاضي الشوشتري، مجالس المؤمنين. ج٢، ص١٥٨.

ـ بقدر ما تستطيع أيها القلب اجتهد[١].

إذا وصلت إلى المقصد فهنيئاً لك السعادة. وإذا مت في هذا الطريق فنعم الشهادة.

ـ إذا مت في طريقه فشهيد.

ـ وإن سبقت فزين العبيد.

﴿ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله، ثم يدركه الموت، فقد وقع أجره على الله﴾[٢].

والتوفيق من الله العزيز الحكيم. والحمد لله رب العالمين. والصلاة على محمد وآله أجمعين.

تمت الرسالة السلوكية من إفادات المرحوم مولانا محمد محسن الكاشاني. في منتصف شهر شوال ١١١٩هـ.ق.

حرره محمد مؤمن الطباطبائي.

---

(١) ديوان حافظ ص١٩٢.

(٢) سورة النساء. الآية ١٠٠.

الرسالة الثانية

رواية عنوان البصري (رحمه الله)

عن الإمام الصادق عليه السلام

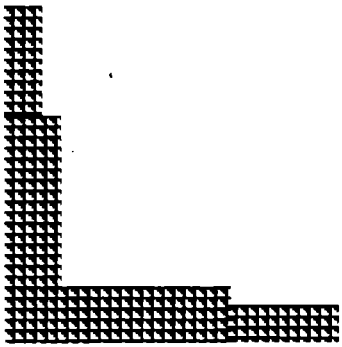

رواية عنوان البصري (رحمه الله)

مع توضيح للعلامة السيد محمد حسين الطهراني «رحمه اللّه».

أهمية رواية عنوان البصري، بنظر العلامة علي القاضي:

العارف المشهور العلامة علي القاضي كان يأمر تلامذته، ومريدي السير، والسلوك إلى اللّه أن يكتبوا رواية عنوان البصري، ويعملوا بها.. اضافة إلى أنه كان يأمرهم بأن يضعوها في جيوبهم، وأن يطالعوها مرةً أو مرتين أسبوعياً.

نقلاً عن العلامة السيد محمد حسين الطهراني «رحمه اللّه».

بسم الله الرحمن الرحيم

المرحوم (العلامة القاضي) الأستاذ الكبير وعارف القرن بلا بديل، الذي يقول فيه استاذنا الحاج السيد هاشم الحداد: «منذ صدر الإسلام حتى الآن، لم يأت عارف بجامعية المرحوم القاضي»... ـ كان يأمر تلامذته، ومريدي السير والسلوك إلى الله بكتابة رواية عنوان البصري، وأن يعملوا بها. يعني أن العمل طبقاً لمضمون هذه الرواية هو برنامج أساسي، ومهم. إضافة إلى هذا، كان يأمرهم بأن يضعوها في جيوبهم، وأن يطالعوها مرة، أو مرتين أسبوعاً.

هذه الرواية مهمة جداً، وتحتوي على مطالب جامعة في بيان كيفية المعاشرة، والخلوة، وكيفية، ومقدار الطعام، وكيفية تحصيل العلم، وكيفية الحلم، ومقدار الصبر وتحمّل الشدائد مقابل السفهاء، ومقام العبودية، والتسليم، والرضا، والوصول إلى أعلى ذروة العرفان، وقمة التوحيد. فلهذا لم يكن يقبل تلامذته بدون الالتزام بمضمون هذه الرواية.

هذه الرواية منقولةٌ عن الامام الصادق عليه السلام، وذكرها المجلسي في كتاب «بحار الأنوار». وبما أنها برنامج عمل جامع، منقولٌ عن الامام ـ عليه السلام ـ نحن هنا سنذكر نفس ألفاظ وعبارات الرواية، بدون أدنى تصرف، ليتمتع بها المحبّون، وعاشقوا السلوك إلى الله.

أقول: وجدت بخط شيخنا البهائي ـ قدس الله سره ـ ما هذا لفظه:

قال الشيخ شمس الدين محمد بن مكي: نقلت من خط الشيخ أحمد الفراهاني ـ رحمه الله ـ عن عنوان البصري، وكان شيخاً كبيراً قد أتى عليه أربع وسبعون سنة.

قال: كُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى مَالِك بن أَنَس سِنِينَ. فَلَمَّا قَدِمَ جَعفَرُ الصَّادِقُ ـ عليه السلام ـ المَدِينَةَ. اخْتَلَفتُ إِلَيْهِ. وَأَحْبَبْتُ أَنْ آخُذَ عَنْهُ كَمَا أَخَذْتُ عَنْ مَالِك.

فَقَالَ لِي يَوْماً: إِنِّي رَجُلٌ مَطْلُوبٌ، وَمَع ذَلِكَ لِي أَوْرَادٌ كُلٌّ سَاعَةٍ مِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَلاَ تَشْغِلَنِي عَنْ وِرْدِي! وَخُذْ عَنْ مَالِك، وَاخْتَلِفْ إِلَيْهِ كَمَا كُنْتَ تَخْتَلِفُ إِلَيْهِ.

فَاغْتَمَمْتُ مِنْ ذَلِكَ، وَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَوْ تَفَرَّسَ فِيَّ خَيْراً، لَمَا زَجَرَنِي عَنْ الاخْتِلاَفِ إِلَيْهِ، وَالأَخْذِ عَنْهُ.

فَدَخَلْتُ مَسْجِدَ الرَّسُولِ ﷺ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ مِنَ الغَدِ إِلَى الرَّوْضَةِ، وَصَلَّيْتُ فِيهَا رَكْعَتَيْنِ، وقُلْتُ: أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ!، يَا اللَّهُ! أَنْ تَعْطِفَ عَلَيَّ قَلْبَ جَعْفَرٍ، وَتَرْزُقَنِي مِنْ عِلْمِهِ ما اهتدي بِهِ إِلَى صِراطِكَ المُسْتَقِيمِ. وَرَجَعْتُ إِلَى دَارِي مُغْتَمّاً، وَلَمْ اخْتَلِفْ إِلَى مَالِك بْنِ أَنَس، لِمَا أُشْرِبَ قَلْبِي مِنْ حُبِّ جَعْفَرٍ؛ فَمَا خَرَجْتُ مِنْ دَارِي إِلاَّ إِلَى الصَّلاَةِ الْمَكْتُوبَةِ، حَتَّى عِيْلَ صَبْرِي. فَلَمَّا ضَاقَ صَدْرِي تَنَعَّلْتُ، وَتَرَدَّيْتُ، وَقَصَدْتُ جَعْفَراً، وَكَانَ بَعْدَمَا صَلَّيْتُ الْعَصْرَ.

فَلَمَّا حَضَرْتُ بَابَ دَارِهِ، اسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ، فَخَرَجَ خَادِمٌ لَهُ، فَقَالَ: مَا حَاجَتُكَ؟! فَقُلْتُ: السَّلاَمُ عَلَى الشَرِيف.

فَجَلَسْتُ بِحذَاءِ بَابِهِ، فَمَا لَبَثَ إلاَّ يسَيْراً إذْ خَرَجَ خَادِمٌ لَهُ، فَقَالَ: ادْخُلْ عَلَى بَرَكَةِ اللّهِ. فَدَخَلْتُ، وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ. فَرَدَّ السَّلاَمَ، وَقَالَ: اجْلِسْ! غَفَرَ اللّهُ لَكَ!

فَجَلَسْتُ، فَأَطْرَقَ مَلِيًّا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، وَقَالَ: أَبُو مَنْ؟!

قُلْتُ: أَبُو عَبْدِ الله!

قَالَ: ثَبَّتَ اللّهُ كُنْيَتَكَ، وَوَفَّقَكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللّهِ! مَا مَسْأَلَتُكَ؟!.

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَوْ لَمْ يَكُنْ لِي مِنْ زِيَارَتِهِ، والتَّسْلِيمِ غَيْرُ هَذَا الدُّعَاء، لَكَانَ كَثِيراً.

ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: مَا مَسْأَلَتُكَ؟

فَقُلْتُ: سألْتُ اللّهَ أَنْ يَعْطِفَ قَلْبَكَ عَلَيَّ، وَيَرْزُقَنِي مِنْ عِلْمِكَ، وَأَرْجُو أَنَّ اللّهَ ـ تعالى ـ أَجَابَنِي فِي الشَّرِيفِ مَا سَأَلْتُهُ.

فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللّهِ! لَيْسَ الْعِلْمُ بالتَّعَلُّمِ، إنَّمَا هُوَ نُورٌ يَقَعُ فِي قَلْبِ مَنْ يُرِيدُ اللّهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالى ـ أَنْ يَهْدِيَهُ، فَإنْ أَرَدْتَ الْعِلْمَ، فَاطْلُبْ أَوَّلاً فِي نَفْسِكَ حَقِيقَةَ العُبُودِيَّةِ، وَاطْلُبْ العِلْمَ باسْتِعْمَالِهِ، واسْتَفْهِمِ اللّهَ يُفْهِمْكَ!.

قُلْتُ: يَا شَرِيفُ! فَقَالَ: قُلْ يَا أَبَا عَبْدِ اللّهِ! قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللّهِ! مَا حَقِيقَةُ الْعُبُودِيَّةِ؟!

قَالَ: ثَلاَثَةُ أَشْيَاء: أَنْ لاَ يَرَى الْعَبْدُ فِيمَا خَوَّلَهُ اللّهُ مِلْكاً، لأَنَّ الْعَبِيدَ لاَ يَكُونُ لَهُمْ مِلْكٌ، يَرَوْنَ الْمَالَ مَالَ اللّهِ، يَضَعُونَهُ حَيْثُ أَمَرَهُمُ اللّهُ بِهِ. وَلاَ يُدَبِّرُ العَبْدُ لِنَفْسِهِ تَدْبِيراً. وَجُمْلَةُ اشْتِغَالِهِ فِيمَا أَمَرَهُ اللّهُ بِهِ وَنَهَاهُ عَنْهُ.

فَإذَا لَمْ يَرَ العَبْدُ لِنَفْسِهِ فِيمَا خَوَّلَهُ اللّهُ ـ تَعَالَى ـ مِلْكاً، هَانَ عَلَيْهِ الإنْفَاقُ فِيمَا أَمَرَهُ اللّهُ ـ تَعَالَى ـ أَنْ يُنْفِقَ فِيهِ.

وَإذا فوَّضَ العَبْدُ تدبيرَ نفسه عَلَى مُدبِّرِه، هَانَ عَلَيْه مَصَائبُ الدُّنْيَا: وَإذَا اشْتَغَلَ العَبْدُ بمَا أَمَرَهُ اللّهُ ـ تَعَالَى ـ وَنَهَاهُ، لاَ يَتَفَرَّغُ مِنْهُمَا إلَى المِرَاء، والمُبَاهَاة مَعَ النَّاس.

فَإذَا أَكْرَمَ اللّهُ العَبْدَ بهذه الثلاثة، هَانَ عَلَيْه الدُّنْيَا، وَإبْلِيسَ، والخَلْقُ، وَلاَ يَطْلُبُ الدُّنْيَا تَكَاثُرَاً، وَتَفَاخُرَاً، وَلاَ يَطْلُبُ مَا عِنْدَ النَّاس عِزَّاً، وَعُلُوَّاً، وَلاَ يَدَعُ أَيَّامَهُ بَاطلاً. فَهَذَا أَوَّلُ دَرَجَة التُّقَى. قَالَ اللّهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً، والعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْد اللّه! أَوْصِنِي!.

قَالَ: أُوْصِيكَ بتسْعَة أَشْيَاء، فَإنَّهَا وَصِيَّتِي لِمُرِيْدِي الطَّرِيق إلَى اللّه ـ تَعَالَى ـ. واللّهَ أَسْأَلُ أَنْ يُوَفِّقَكَ لاسْتِعْمَاله.

ثَلاَثَةٌ مِنْهَا فِي رِيَاضَة النَّفْس، وَثَلاَثَةٌ مِنْهَا فِي الحِلْم، وَثَلاَثَةٌ مِنْهَا فِي العِلْم. فَاحْفَظْهَا، وَإيَّاكَ والتَهَاوُنَ بِهَا!.

قَالَ عُنْوَانُ: فَفَرَّغْتُ قَلْبِي لَهُ.

فَقَالَ: أَمَّا اللَّوَاتِي فِي الرِّيَاضَة، فَإيَّاكَ أَنْ تَأْكُلَ مَا لاَ تَشْتَهِيه، فَإنَّهُ يُوْرِثُ الحَمَاقَةَ، والبَلَه، وَلاَ تَأْكُلْ إلاَّ عِنْدَ الجُوع، وَإذَا أَكَلْتَ فَكُلْ حَلاَلاً، وَسَمِّ اللّهَ، وَاذْكُرْ حَدِيثَ الرَّسُول ﷺ:

«مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطْنِه، فَإنْ كَانَ وَلاَ بُدَّ، فَثُلُثٌ لِطَعَامِه، وَثُلُثٌ لِشَرَابِه، وَثُلُثٌ لِنَفَسِه».

وَأَمَّا اللَّوَاتِي فِي الحِلْم: فَمَنْ قَالَ لَكَ: إنْ قُلْتَ وَاحِدَةً، سَمِعْتَ عَشْرَاً،

---

(١) سورة القصص، الآية ٨٣.

فَقُلْ: إِنْ قُلْتَ عَشْراً لَمْ تَسْمَعْ وَاحِدةً. وَمَنْ شَتَمَكَ، فَقُلْ لَهُ: إِنْ كُنْتَ صَادِقاً فِيمَا تَقُولُ، فَاسْأَلُ اللّهَ أَنْ يَغْفِرَ لِي، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِباً فِيمَا تَقُولُ، فَاللّهَ أَسْأَلُ أَنْ يَغْفِرَ لَكَ.

وَمَنْ وَعَدَكَ بِالْحَسَنَى، فَعِدْهُ بِالنَّصِيحَةِ، وَالرِّعَاءِ[1].

وَأَمَّا اللَّوَاتِي فِي الْعِلْمِ، فَاسْأَلِ الْعُلَمَاءَ مَا جَهِلْتَ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ تَعَنُّتاً[2]، وَإِيَّاكَ أَنْ تَعْمَلَ بِرَأْيِكَ شَيْئاً. وَخُذْ بِالاِحْتِيَاطِ فِي جَمِيعِ مَا تَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلاً. وَاهْرُبْ مِنَ الْفُتْيَا هُرُوبَكَ مِنَ الأَسَدِ، وَلاَ تَجْعَلْ رَقَبَتَكَ لِلنَّاسِ جِسْراً. قُمْ عَنِّي يَا أَبَا عَبْدِ اللّهِ! فَقَدْ نَصَحْتُ لَكَ، وَلاَ تُفْسِدْ عَلَيَّ وِرْدِي، فَإِنِّي امْرُؤٌ ضَنِينٌ بِنَفْسِي. وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى[3].

من خلال النظر في المطالب الدقيقة الواردة في هذا الحديث المبارك المُراد، والعظيم المفاد، تُعلَم القمّة العالية التي تقع فيها توجيهات آية الحق، والعرفان، وسند التحقيق، والإيقان، وعماد البصيرة والبرهان الحاج السيد علي القاضي ـ قدس الله نفسه الزكية ـ.

كان يعطي هذه التوجيهات في سبيل الإعراض عن الأهواء، وعن حس الانتقام، وفي سبيل كسر سَورة النفس الأمّارة، ومعرفة الباب، والمنفذ إلى عالم المُغنى، والتجرد، والملكوت؛ ولأجل عرفان ذات الحق ـ تعالى ـ، واندكاك الوجود المجازي المستعار في الوجود المطلق، والوجود البحت، والصرف، والأزلي، والأبدي، الذي لا تتناهى ذاته المقدسة.

---

(١) المراعاة.

(٢) تعنّته: أدخل عليه الأذى، وطلب زلّته، ومشقته.

(٣) بحار الأنوار، ج١، ص٢٢٤، كتاب العلم، الباب السابع، آداب من طلب العلم ج١ وأحكامه، الحديث ١٧.

حقاً! إن رواية عنوان البصري يجب أن يكتب في شرحها. وبيانها كتب متعددة. وإن كان قد كتب في ذلك . إلاّ أن ذلك لم يكن بعنوان شرح رواية عنوان البصري. فإن كتاب الفيض الكاشاني «إحياء الإحياء» القيّم. والعظيم المسمى باسم «المحجة البيضاء». أو «جامع السعادات» للحاج الملا مهدي النراقي. جدّنا الكبير. أو كتاب «عدّة الداعي» وغيرها. ليست شرحاً. وتفصيلاً. لهذه المطالب القيّمة. «بالحمل الشايع الصناعي»[1].

(١) أي ليست شرحاً تفصيلياً. بل هي شرح إجمالي (بالحمل الذاتي الأولي).

الرسالة الثالثة

سير وسلوك

العلامة القزويني (رحمه الله)

سير وسلوك
العلامة القزويني رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

العلامة الكبير المرحوم السيد حسين القزويني (١٢٠٨ ـ ١١٢٦)، من فقهاء الشيعة الكبار، وشيخ إجازة المرحوم السيد بحر العلوم، وله تأليفات كثيرة. قبره في مزار سليل الأئمة «شاهزاده حسين» في قزوين، مزار لأهل الإيمان. للإطلاع أكثر على سيرته فليرجع إلى كتاب «الشجرة الطيبة» لأحد أحفاده السيد حسن الحاج سيد جوادي، الذي طبع سنة ١٣٩٣هـ.ق في قزوين.

هذه الرسالة المشتملة على عشرين نصيحة أخلاقية، والتي هي على إيجازها، واختصارها برنامج جامع لسير، وسلوك أهل الإيمان إلى الله، ذُكِرَتْ في كتاب «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» للمرحوم الطهراني، وفي كتاب «الشجرة الطيبة».

لقد أضفت إلى الرسالة عدداً من الآيات، والروايات، ونظمتها، على أمل أن تكون مفيدة.

تصحيح، وتحقيق: آية الله رضا استادي

قم ـ جمادى الأولى ١٤٠٢هـ.ق

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الحمد والصلاة على النبي والآل..

هذه كلمات عدّة مسطورة بقلم أقل العباد حسين بن محمد ابراهيم الحسيني، في خلاصة النصائح، والتهذيب الأخلاقي، بناءً على إلتماس الأخوة في الدين. جعل جناب الأحديّة التوفيقَ رفيقَ الجميع!.

إعلم أن دفع صفات النفاق، وتحصيل فضائل الأخلاق، هو بالاتفاق من جملة الفروض العينية على جميع المكلفين، والتغافل، والتهاون في الرياضة، والتخلق بمكارم الصفات، وفضائل النعوت، منشأ لتضييع القابلية، وباعث للخروج من الكرامة الانسانية، ويُلحِقُ النفسَ بالبهائم. فإنَّ قوله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ شاهدُ صدقٍ على هذا المدعى.

فعلى طالب الحق بعد تحصيل الاعتقاد بالمبدأ، وتحصيل اليقين، أن يتمتع في أيام مهلة الحياة بالكتب الدراسية الموافقة للشريعة الغراء لسيد المرسلين، وصفوة العالمين، الذي ورد في شأنه ﷺ ﴿وإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (إتباعاً لرؤوفٍ رحيم)، وأن يجعل أحوال ذلك النبي العظيم شعاره، وأن يوصل نفسه تدريجياً من حضيض النقصان إلى

أوج الكمال. وحد التمكين. والوقار. بحول. وقوة الملك الغفار ـ تعالى شأنه ـ. فعلى سبيل التنبيه نشير إلى عدد من رؤوس الفضائل:

الأول

تحصيل التقوى. والتورع في جميع أنواع الفعل. والترك. بأن يكون دائماً في حال المراقبة. وأن يعلم أن الذات الإلهية المقدسة ـ تعالى شأنه ـ حاضرة. وناظرة عليه في كل حال. وأن يأتمر بأوامره. وينتهي عن نواهيه. وأن يجعل فضيلة التقوى شعاره في السر والعلن. ولا يضع قدمه خارج حدود الشريعة الغرّاء. ومع عروض الإثم والمعصية يتدارك ذلك سريعاً بالاستغفار. والتوبة. والإنابة. والندامة[1].

الثاني

دوام ذكر الحق بالقلب. واللسان. بحيث لا يغفل عنه لحظة. وأن يعتبر الوقت غنيمة. ولا يخسر أيام المهلة بدون فائدة؛ فكل ساعة جوهرة ثمينة لا توازيها الدنيا. وما فيها[2].

الثالث

التوكل. وتسليم الأمور للولي الحقيقي. واللجوء إلى جنابه المقدس ـ تعالى شأنه ـ؛ ولا يعتمد بأي حال على رأيه وتدبيره. وأن يتوكل على

---

(١)... وتزوّدوا فإن خير الزاد التقوى. واتقون يا أولى الألباب. سورة البقرة، الآية ١٩٧. سئل الصادق عليه السلام عن تفسير التقوى فقال: أن لا يفقدك أمرك، ولا يراك حيث نهاك. سفينة البحار ج٢، ص٦٧٨.

(٢) (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً) سورة الأحزاب، الآية ٤١. عن الصادق عليه السلام قال: سيد الأعمال ثلاثة: ...وذكر الله، على كل حال... ليس سبحان الله... ولكن إذا ورد عليك شيء أمر الله ـ عزّ وجلّ ـ به أخذت به، وإذا ورد عليك شيء نهى الله ـ عزّ وجلّ ـ عن، تركته. سفينة البحار ج٢، ص٥٩٤.

الذات التي لا تزول. وأن يرضى بما قدره له المنعم الحقيقي، وأن لا يتهم الله المتعال في القضاء، وأن يزيل الضيق، والسخط من الأقدار من صفحة القلب.

الرابع

التمسك بجميع شرائع الدين المبين، وسنَّة سيد المرسلين السنيَّة، والأخذ به من علماء الدين الورعين المتقين، بالمداومة على الفرائض، والواجبات، ومنع النفس عن المنهيَّات، فإن التخلف عنه منشأ للضلالة، والأخذ بالبدع، والأهواء، وسبب للهلاك. فيجب الاهتمام، والسعي التام، على مرِّ الليالي، والأيام، وعدم الإكتفاء بمجرد وصف الطريق بدونِ عمل النفس بنصيحة الرفيق، الشفيق. وأن يبذل السعي الكبير بقدر الجهد، والطاقة، والفراغ، والصحة في الليل والنهار في مرغوبات النوافل، ومندوبات الفضائل. وأن يحذر من ندامة تضييع العمر الثمين في يوم العرض الأكبر. وأن يحفظ لسانه من اللغو، والكلام غير المفيد، خصوصاً الفحش، والكذب، والغيبة، والنميمة. وأن يحذر من استماع، وسماع المنهيات، والأمور غير المفيدة الدينية، والدنيوية. وأن يضبط، ويحفظ جميع أعضائه، وجوارحه من مخالفة رضى المالك الحقيقي[1].

الخامس

ممارسة الزهد، وعدم الرغبة في الدنيا، وما فيها. والاقتصاد في المعيشة بقدر البلغة من الحلال، وضبط النفس عن الاشتغال بفضول

---

(١) ﴿ما آتاكم الرسول، فخذوه، وما نهاكم عنه، فانتهوا، واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ سورة الحشر، الآية ٧.

العيش. والاستغناء عن جميع الناس في القليل، والكثير؛ فالاحتياج إلى الناس مذلّة حاضرة، ونسيان الآخرة مورث لليأس، وموجب للخسران[١].

السادس

إن دوام ذكر الموت، والاستعداد للنزول إلى القبر فرض، يجب أن يبقى نصب العين، ولا يُغْفَلَ عنه لحظة؛ فالغفلة سبب وبال الدنيا، والآخرة. يجب تهيئة لوازم سفر الآخرة، من الوصية، وتجهيز الكفن، وغيره من الضروريات اللازمة. فمع ترك الاستعداد، يكون الموت فجأة، مهما طال العمر.

السابع

دوام محاسبة النفس كل صباح، ومساء؛ فإذا وجد في أعماله خيراً، حمد اللّه وشكره، وعلم أن تلك النعمة العظمى من جنابه المقدس، ويطلب توفيق الزيادة. وإذا رأى في أعماله شراً، وسوءً، استعجل في التوبة، والإنابة. وطهّر صفحة القلب بماء الحسرة والندامة، وحرّر نفسه النفيسة من تلك الدنيّة بالأعمال الحسنة[٢].

الثامن

مداومة الاستغفار، وطلب العفو في ساعات الليل والنهار، خصوصاً في الأعصار، والأسحار، ففي وصية لقمان لابنه أن: أَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» فإن لجناب الأحدية أوقات عديدة، لا يرد فيها سائل

---

(١) قال علي عليه السلام: الزهد كله في كلمتين في القرآن، قال الله سبحانه: (لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)... نهج البلاغة، ج٣، ص٢٥٨.

(٢) عن أبي الحسن الماضي (الكاظم) عليه السلام ـ قال: «ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم. فإن عمل حسناً ازداد الله شكوراً، وإن عمل سيئاً استغفر الله، وتاب إليه»، ابن طاووس. محاسبة النفس. ص١٣.

من مقام العزّة، والجلال. فيجب أن نكون في جميع الأوقات في حال الدعاء؛ عسى أن نصل في ساعة من الساعات إلى هدف الإجابة[١].

التاسع

الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، بحسب المقدور، ومع آدابه، وشرائطه. وإذا لم يكن إظهار الحق ممكناً، فعلى الأقل أن يُترك المرء مجالسة الأشرار. ويجب أن يستقبح في قلبه أحوالهم، وأعمالهم، ولا يداهنهم أبداً[٢].

العاشر

مساعدة، ومعونة الأخوة في الدين في الأمور الخيرية، والاهتمام بقضاء حوائجهم، خصوصاً الذرية الطيبة لصاحب الرفعة، وخير البرية، والسلالة العلوية الفاطمية[٣].

الحادي عشر

تعظيم الأوامر الإلهية، وتعظيم، وتكريم علماء الدين، وأهل التقوى، وأصحاب الورع، من المؤمنين، فهو منشأ لصلاح الدنيا، ونجاة العقبى[٤].

---

(١) ﴿... واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾ سورة المزمل. الآية ٢٠، قال رسول الله (ﷺ): «طوبى لمن وجد في صحيفة عمله يوم القيامة تحت كل ذنب استغفر الله». محاسبة النفس. ص١٥.

(٢) ﴿وإذ قال لقمان لابنه... يا بني أقم الصلاة وامر بالمعروف﴾ سورة لقمان. الآية ١٧. عن علي عليه السلام: «إن الأمر بالمعروف. والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق» عبده. مجمد. نهج البلاغة. ج٣. ص١٤٤.

(٣) ﴿وتعاونوا على البر. والتقوى. ولا تعاونوا على الإثم. والعدوان. واتقوا الله...﴾ سورة المائدة. الآية٢. وعن الصادق عليه السلام قال: «من كان في حاجة أخيه المسلم. كان الله في حاجته ما كان في حاجة أخيه». سفينة البحار. ج١. ص٣٥١.

(٤) عن رسول الله ﷺ: «إني أخاف عليكم استخفافاً بالدين...» بحار الأنوار. ج٧٢. ص٢٧٧. وعن أبي عبد الله عليه السلام. قال: «لا تحتقروا مؤمناً فقيراً...» المصدر نفسه ص٤٠.

الثاني عشر

الصبر في جميع المواطن: فالصبر بمنزلة الرأس للإيمان. والرضى بالأقدار موجب لراحة الدارين، ويجب عدم تمنّي، ورجاء ما لا يُعرف عاقبته أبداً. والبقاء دائماً في حال الشكر، فهو سبب زيادة النعمة. والدعاء دائماً لتعجيل فرج آل محمد ﷺ[1].

الثالث عشر

الاشتغال بممارسة العلوم الدينية النافعة في سلوك سبيل الآخرة، وطلبه من أهله، وأن لا يخاف من ملامة أحد، ولا يبقى في الجهالة[2].

الرابع عشر

الاخلاص في جميع الأعمال، وعدم النظر إلى أي معيار غير الحق؛ فالرياء ـ نعوذ باللّه ـ شرك، واجتنابه واجب[3].

الخامس عشر

السعي في صلة الأرحام، والاحسان إليهم ولو كان بالسلام عند عدم إمكان غيره، فهو منشأ لرفع الدرجات، وبركة المال، وطول الأعمال، ورضى الخالق؛ وخصوصاً الوالدين، الذين لا تحصى

---

(١) ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾ سورة البقرة الآية ١٥٣. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الصبر صبران، صبر عند المصيبة حسن جميل، وأحسن من ذلك الصبر عندما حرّم الله عليك...» المصدر نفسه ج٢، ص٥.

(٢) عن النبي ﷺ، قال: «إنما العلم ثلاثة: آية محكمة، وفريضة عادلة، وسنة قائمة، وما خلاهن فهو فضل» المصدر نفسه، ج٢، ص٢١٩.

(٣) ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين، ألا لله الدين الخالص﴾ سورة الزمر، الآية٢ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الابقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل». البحار، ج٧٠، ص٢٣.

حقوقهما. وعقوقهما موجب للخسران. والوبال. سواءً في الحياة، أو الممات.

السادس عشر

زيارة الأخوة في الدين. والمذاكرة معهم في أمور الدين، والآخرة، فمن المذاكرة معهم يحصل الاستعداد التام. وزاد سفر العقبى المليء بالخطر.

السابع عشر

عدم التوسع في المباحاة. وعدم اجتياز النفس. بل يجب الاقتصاد، والوسط في السلوك.

الثامن عشر

المعاشرة مع أهل الدنيا بالمداراة. وبمستوى فهمهم، وطاقة عقلهم. والاعراض عن ما ينكرونه من المعارف. ولا يدركونه بشكل صحيح بعقلهم الناقص. ومزاولة حسن الخلق. وكظم الغيظ. والتواضع. ورفع الكبر. والعجب. وحب النفس. والخيلاء. والعصبية. وليطلب اصلاح أعماله. وأعمالهم من مقام الأحدية: إن أساس جميع الأمور الأخذ

---

(١) ﴿ووصينا الانسان بوالديه حسناً...﴾ سورة العنكبوت. الآية٨. روي عن رسول الله ﷺ: صلة الرحمن تزيد في العمر. وتنفي الفقر. المصدر نفسه ج٧٤. ص١٠٣.

(٢) عن أبي عبد الله ﷺ قال: من زار إخاه قال الله عز وجل: إياي زرت. وثوابك علي. ولست أرضى لك ثواباً دون الجنة. المصدر نفسه. ج٧٤. ص٣٤.

(٣) نهاية الكمال. وغاية السعادة لكل شخص. اتصافه بصفة العدالة. والوسط في جميع الصفات والافعال الظاهرة والباطنة. معراج السعادة. ص٤٩ عن أبي عبد الله ﷺ قال: لا تكرهوا إلى العبادة انفسكم. البحار ج٧١. ص٢١٣. عن علي ﷺ: «قليل من عمل مدوم عليه خير من عمل كثير مملول منه». المصدر نفسه. ج٧١. ص٢١٩.

بالتقوى، ودوام مراقبة المقام الأقدس الإلهي ـ تعالى شأنه ـ، والتوسل بأهل البيت الأطهار ـ صلوات اللّه عليهم ـ في الليل والنهار[١].

التاسع عشر

تحصيل الخوف، والرجاء، بأن يكون خائفاً من سخط الجبار، وفي مهد الأمن والأمان من الرحمة اللانهائية. وأن يحافظ على هاتين الحالتين معاً في نفس الوقت؛ فاليأس، والأمن كلاهما منشأ لمآثم لا تُعدّ. إلاّ عند وقت الاحتضار، الذي تخرج فيه نفس المرء من يده، فيجب أن يكون رجاء الرحمة غالباً عليه[٢].

العشرون

تحصيل عفة النفس، بالجود، والسخاء، والثبات، والطمأنينة، ومواساة الأخوان، ومسامحتهم[٣].

إن التأمل في دقائق هذا المسطور، ورياضة النفس مع المداومة، يثمر السعادة، وارتفاع الشقاوة.

عصمنا اللّه واخواننا المؤمنين عن هواجس الشيطان اللعين، وجعلنا في يوم الدين في مقام الآمنين، آمين رب العالمين.

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «أعقل الناس أشدهم مداراة للناس، وأذل الناس من أهان الناس، المصدر نفسه. ج٧٥. ص٥٢.

(٢) قال أبو عبد الله عليه السلام: كان أبي عليه السلام يقول: «إنه ليس من عبدٍ مؤمن إلاّ في قلبه نوران: نور خيفة، ونور رجاء، لو وزن هذا، لم يزد على هذا، ولو وزن هذا، لم يزد على هذا». المصدر نفسه. ج٧٠. ص٣٥٢.

(٣) العفة هي عبارة عن كون القوة الشهوية تحت سيطرة العقل، وأن تكون كل تصرفاتها موافقة، ومطابقة لأمر، ونهي القوة العاقلة. معراج السعادة، ص٣١.

(التسوّل)

كتب أحد أساتذة الأخلاق في الوقوف بين يدي الباري موقف المتسوّل:

إذا كنت في مقام العمل مع مجاهدة النفس، فهنيئاً لك! وإذا ـ نعوذ باللّه ـ أصابتك نكبة، وتكاسلت في العمل، ولم تستطع أن تتقدم به، فعلى الأقل لا تفقد التسوّل بالتضرع، والتأوه في الخلوات، واكذب حتى يصدق حالك؛ فالمتسوّل يطلب مجاناً، فإذا كان جاداً حصل على مقصوده. إذا أُجبتَ لا نحتاج إلى عبدٍ مفلسٍ مثلك، فقل بتذلُّل: المتسوِّل في طريق السلطان لن يكون في عداد عبيده، وإذا قيل: أنت غير مطيع، فقل بلطافة: لكل امرءٍ شأن. وإذا قال: أين تظهر جبروتي إذن، فقل بأدب: عندما يُعارَضُ سلطان جنابكم الأقدس. فإذا قال: أخرجوه، فقل بإلتماس:

ـ لا أذهب من دياركم إلى بلد آخر.

ـ أخرجوني من هذا الباب، آتي من باب آخر[1].

فإذا قال: ليس لديك قابلية الاستفاضة منّي، فأجب: تكرَّم بشفاعة أوليائك.. فإذا قيل: أنت متسوِّل! فلا تتراجع حتى لا تبقى محتاجاً أبداً.

يمكن بالتسول حصول أمورٍ كثيرة. فالغرض من مجاهدة النفس العلم بالعجز، والوقوف موقف (المتسوِّل) بين يدي اللّه، واللّه العالم.

الحمد لله رب العالمين.

---

(١) تعريب شعر فارسي.

الرسالة الرابعة

سير وسلوك

العلامة حسن حسن زادة الآملي

سير وسلوك
العلامة حسن حسن زادة الآملي
جواب رسالة صديق

بسم الله الرحمن الرحيم

«وَلَهُ الحَمْدُ. والسَلاَمُ عَلَيْنَا. وعَلَى عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ».

مشتاق يطلب برنامجاً من وقح، يحب أن يسمع كلاماً من فم من لا لسان له. يتمنى ما لديه من الأجنبي، الخوف، - إذا لم امتثل - أن ينكسر خاطره.

برنامج عمل الانسان هو فقط، وفقط القرآن الكريم، وسنة الرسول الخاتم ﷺ، وما سواه هوى وهوس. إذا كان لدينا كلام، فهو الحقائق التي تأتي بقالب ألفاظ أخرى بمقدار فهمنا، ونظرنا.

الوقت الآن ليل يوم الخميس (١٣٤٩/٤/٣٠) هـ.ش، أنا مشغول بتسويد أوراقي هذه، الحبر في رأس القلم يسود وجه الورق من ناحية، ومن ناحية أخرى عيوني تغسل وجهي الأسود، فماذا أكتب؟ أنا هل تقدمت خطوة حتى آخذ بيد شخص آخر.

في عصر يوم الأحد (١٣٤٩٣/٣١) هـ.ش في قم، قلت:

أخيراً، حسن! أنت لم تنشىء سفراً.

أخيراً إلى حريم القلب لم تعبر.

أخيراً لم تنل من شجرتك ثمراً

غير أن صرت في أفواه الخلق سَمَراً[١].

وقلت أيضاً:

أرأيت حسن لست بنفسك عارفا

أرأيت حسن لست نداً لهذا الطريق

أرأيت حسن أنت لست رجل السَحَر

وإلاّ فلماذا لست مقبولاً في البلاط[٢]

بسم اللّه، هذه عدة كلمات وبرنامج للعمل ـ بحسب قولك في ليلة يوم السبت في (١٣٤٩/٣/٣٠) في قم قلت:

زاد الطريق الحضور والأدب

عند ذاك الهمّة أولاً ثم الطلب

لا بد للسالك من هذه الأربعة أصول

وإلاّ الوصول إلى مراد القلب عجب[٣]

وفي صباح يوم الاثنين أيضاً في (١٣٤٩/٤/١) في قم قلت:

كل من يهوى طريق الحبيب

ليَدَعْ من رأسه كل ما في الرأس

وإلاّ لو اعتكف ألف مرة

لا يستفيد فهو كافر النفس[٤]

أخي الخطوة الأولى في السلوك، التوبة، والطهارة، من المعصية،

(١) تعريب شعر فارسي.

(٢) تعريب شعر فارسي.

(٣) تعريب شعر فارسي.

(٤) تعريب شعر فارسي.

والبعد عن قول السوء، والأعمال، والأفكار الفاسدة، والأخلاق المذمومة. تدبر جيداً في كلام الله الغفور الرحيم الذي قال: «**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**». اسعَ لتكون محبوباً للخالق. واذكر قول الشيخ العارف الشبستري:

ما لم تُبعَد عنك موانع الشرور
لن يدخل بيت القلب نور
الموانع في هذا العالم أربعة
الطهارة منها أيضاً أربعة
الأول الطهارة من الأحداث والأنجاس
الثاني من المعصية وشر الوسواس
الثالث الطهارة من الأخلاق الذميمة
التي بها الآدمي كان بهيمة
الرابع طهارة السِّر من الغير
التي ينتهي هنا بها السير[1]

إذا كنت سالكاً، فاعلم أن طيَّ المراحل، وقطع المنازل ليس ميسوراً إلاّ بخطوات النفي والإثبات، وهذا المعنى لا يوجد إلاّ في الكلمة الطيبة «لا إله إلاّ الله». قال أهل الله: لا أثر لأي نوع من أنواع الأذكار، والعبادات في ارتقاء الدرجات، والمقامات المعنوية كهذه الكلمة الطيبة. لهذا قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا الرَّجُلُ تُوزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلاَّ شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَإِنَّهَا لاَ تُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ، لأَنَّهَا لَوْ وُضِعَتْ فِي**

(١) تعريب شعر فارسي.

الميزَان، وَوُضِعَتْ السَمَاوَاتْ، والأَرْضُونَ السَبْعْ، وَمَا فيهنَ، كانَ لا إلَهَ إلاَّ اللَّهْ أَرْجَحَ منْ ذلكَ».

كنايةً عن أن ثواب هذه الكلمة لا نهاية له، ولا يحصى، ولا شيء يوازيه.

الآن بما أنك بحمد اللّه محشور مع «**لا إله إلاّ اللّه**» فهنيئاً لمن حشر مع الحبيب على الدوام. أيها الحبيب فلتكن ذاهمةً عالية وبكمال الاخلاص:

حبيبي قل حبيبي قل حبيبي حبيبي
حتى ترى كل ما كان هو هو[1]
اسمح لي أن تسمع كلامي:
همَّةٌ يا روحي سير السماوات
قل الله، ولا تطلب الكشف والكرامات
حاجة سالكي الطريق ليست إلاّ وصل الحبيب
مالك وللحاجات اطلب قبلة الحاجات
اهتم بالحضور والأدب، الهمّة ثم الطلب
أوقف على هذه الأربعة كل الأوقات
جاء صوت نداء الملاك في الأذن الذكية
إسعَ إلى معمورة طريق الخرابات[2]
الطاعة العادية تبعدك عن الحق
القرب موجود في مخالفة العادات

---

(١) تعريب شعر فارسي.
(٢) الخمارة.

أين المصلي أين مناجي الحبيب
آه! لأنك لم تعرف سرَّ العبادات
دولة فقرك تجعل مستطيعاً أيها المحظوظ
كعبة وصله أطلب والميقات
رجل الطريقة واحد الظاهر والباطن
نور الحقيقة لدى تارك الظلمات
العلم حجاب إذا رأيته زينتك
إن قلت جواهراً أو إشارات
توجه إلى القرآن ما دام في القلب كل آية منه
تفهم معنى درك المقامات
أيها الكتاب المبين ويا أيها الامام المبين
الآية الكبرى، خالق الآيات
من سر الاخلاص اطلب سورة الاخلاص
لكي من نفيها تجد فائدة الاثبات
مثل حسن في السَحَر اضرب على الرأس والصدر
اشتمَّ! ليعطيك إلهك ذوق المناجاة[1]

أخي لا تتكلم بهذا الكلام وذاك الكلام، اقطع نَفَسَكَ، شاهد، واعتبر، فكّر بنفسك.

مدَّ يد التوسل بخاتم الأوصياء، والأولياء، إمام الزمان، المهدي الموعود. الحجة ابن الحسن العسكري عليهما السلام. أمامك عقبات

(١) تعريب شعر فارسي.

كؤود، ومَهُولَة، وذاك الإمام العظيم هو أمير القافلة. تورع عن الإفراط والتفريط. قل: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، احذر من طاعة النفس. ابتعد عن الأراذل. اعمل بمضمون الرسالة التي سبق وقدمتها لك. واهتم بما ذكرته لك شفاهاً. واعتنِ به. كن حارس حرم القلب.

يا سالك الطريق كن عارفاً بنفسك
قُطَّاع الطريق كثيرون في كل كمين[1]

وجه القلب بذكر الحبيب إلى جهة واحدة. كي تكون من المحبين. لا تنس مناجاة المحبين للإمام زين العابدين وسيد الساجدين ـ صلوات اللّه عليه ـ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَنْ ذَا الَّذِي ذَاقَ حَلاَوَةَ مُحَبَّتِكَ فَرَامَ مِنْكَ بَدَلاً ...».

في ٢٦/٤/١٣٤٩، بعد أن كنت حاضراً عندكم، في الطريق قلت:

غير لطفك إذا كان لدي مذهب
فالراحة كلها تعب واللذات ألم
غير ظل لطفك يجب أن لا يكون في فكري
إذا تركت ـ دفعةً ـ ما سواك فهنيئاً لي[2]

روى ثقة الاسلام الكليني ـ رضوان اللّه عليه ـ في «الكافي» عن أبي جعفر الامام محمد، باقر علوم النبيين عليه السلام.

أنه: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ؟ فَقَالَ: أَكْثَرُهُمْ ذِكْراً لِلْمَوْتِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ اسْتِعْداداً»[3].

---

(١) تعريب شعر فارسي.
(٢) تعريب شعر فارسي.
(٣) الفيض الكاشاني، الوافي، ط١، ج١٣، ص٢٩.

مدح الله ـ تعالى ـ نوحاً النبي ﷺ ـ في القرآن فقال: **﴿إنه كان عبدا شكورا﴾**.

روى ابن بابويه ـ رحمه الله ـ في كتاب من لا يحضره الفقيه عن كشاف الحقائق الامام الناطق بالحق جعفر بن محمد الصادق ﷺ أن حفص البختري نقل عن الامام ﷺ أن نوحاً النبي ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء كل صباح ومساء عشر مرات. لهذا سمي عبداً شكوراً:

«اللهم إني أشهدك أنه ما أصبح وأمسى بي من نعمة وعافية في دين أو دنيا، فمنك وحدك لا شريك لك، لك الحمد، ولك الشكر بها عليَّ حتى ترضى، وبعد الرضا»[1].

إسمع لأن يقول القلب أولاً، ثم اللسان. أنا فداء لمن كان قلبه ولسانه واحداً.

حسن حسن زاده الآملي

١٣٤٩/٤/٣٠هـ.ش

تعريب أحمد وهبي

٢٤ رجب ١٤٢١هـ.ق

الموافق: ٢٠٠٠/١٠/٢١م

---

(١) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٣٥.

فهرس

الموضـــوع **الصفحة**

مقدمة المترجم ٥
مقدمة ٧
الرسالةالأولى: زاد السالك ٩
أهمية كتاب «زاد السالك» ١١
الوصية بخمسة وعشرين أصلاً في بناء النفس ١٧
الرسالة الثانية: رواية عنوان البصري ٢٩
رواية عنوان ابصري ٣١
الرسالة الثالثة: سير وسلوك العلامة القزويني ٣٩
سير وسلوك العلامة القزويني ٤١
الرسالة الرابعة: سير وسلوك العلامة حسن حسن زادة الآملي ٥٣